مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 18 العدد: 01 السنة 2026 ص 203 - 219

تاريخ الإرسال: 2026/02/21 تاريخ القبول: 2026/04/16
تاريخ النشر: 2026/05/23

التفسير البياني للقرآن الكريم بين فاضل صالح السامرائي ومحمد شحرور: دراسة مقارنة في المنهج والنتائج

The Rhetorical Exegesis of the Holy Qur'an between Fadel Saleh al-Samarrai and Muhammad Shahrour: A Comparative Study of Methodology and Findings

جدي وليد[1]
مخبر الترجمة ، تحليل الخطاب والدراسات الثقافية الرقمية والمقارنة جامعة خنشلة (الجزائر)، [1]oualid.djedai@univ-khenchela.dz

الملخص:

يُعَدُّ التفسير البياني أحد أبرز المسالك المعاصرة في التعامل مع النصّ القرآني، إذ يركّز على استكشاف أسراره البلاغية ودقّة تراكيبه، وفي إطار هذا المسار برز نموذج فاضل صالح السامرائي ، حيث حاول الإقتراب من النصّ القرآني وكشف وجوه إعجازه البلاغي بأدوات لغوية محضة، من خلال مؤلفاته المتخصصة في بيان الفروق بين الألفاظ والتراكيب، وفي المقابل ظهر مشروع محمد شحرور في "الكتاب والقرآن قراءة معاصرة"، الذي اتخذ من التحليل اللغوي منطلقًا لإعادة بناء مفاهيم قرآنية وتشريعية عديدة، مقدّمًا نفسه بوصفه نموذجًا بديلًا لقراءة النص في سياق الحداثة.

خلصت هذه الدراسة إلى أن التفسير البياني عامل مؤثر في فهم القرآن الكريم لكنه لا يستغني عن الآليات المرافقة في هذا الفهم من سياق وأسباب نزول وتفسير بالمأثور، وهذا ما وعاه فضل صالح السامرائي، فاتخذ من التفسير البياني وسيلة

لتوجيه التفسير القرآني، بينما على النقيض شط محمد شحرور في تأويل الكلام حتى خرج به عن حدود المعقول، مستغنيا برأيه معتدا بعقله، رافضا تراكمات معرفية أنتجها العلماء المسلمون قبله، مما أدى إلى عد مشروعه التأويلي ضرب من العبث..

الكلمات المفتاحية: (التفسير البياني، السامرائي، محمد شحرور، المناهج، نقد)

Abstract:

The Rhetorical Exegesis is considered one of the most prominent contemporary approaches to the Qur'anic text, focusing on exploring its rhetorical secrets and structural precision. Within this framework, the model of Fadel Saleh al-Samarrai stands out; he sought to approach the Qur'anic text and uncover its rhetorical inimitability using purely linguistic tools, as demonstrated in his specialized works on the nuances between words and structures. In contrast, Muhammad Shahrour's project, *"The Book and the Qur'an: A Contemporary Reading,"* emerged, utilizing linguistic analysis as a starting point to reconstruct numerous Qur'anic and legislative concepts, presenting itself as an alternative model for reading the text within the context of modernity.

This study concludes that while Rhetorical Exegesis is an influential factor in understanding the Holy Qur'an, it cannot dispense with accompanying mechanisms such as context, the occasions of revelation (*Asbab al-Nuzul*), and traditional exegesis (*Tafsir al-Ma'thur*). This is precisely what Fadel Saleh al-Samarrai realized, employing Rhetorical interpretation as a means to guide Qur'anic exegesis. Conversely, Muhammad Shahrour strayed significantly in his interpretation, pushing the text beyond the limits of reason. Relying solely on his own opinion and intellect, he rejected the cumulative knowledge produced by Muslim scholars throughout history, leading his

interpretive project to be regarded as a form of intellectual futility

Keywords:
(The Rhetorical Exegesis, Muhammad Shahrour, al-Samarrai,approch, critic)

جدي وليد OUALID.DJEDAI@UNIV-KHENCHELA.DZ.

1.مقدمة

يُعَدُّ التفسير البياني أحد أبرز المسالك المعاصرة في التعامل مع النصّ القرآني، إذ يركّز على استكشاف أسراره البلاغية ودقّة تراكيبه، انطلاقًا من اعتبار القرآن الكريم نصًّا معجزًا في نظمه ودلالته، ولا شك أن كل مفردة وضعت وضعا فنيا مقصودا في مكانها المناسب. وقد أسهم هذا الاتجاه في تجديد الدرس التفسيري عبر استثمار مستويات اللغة المختلفة: الصرفية، والنحوية، والدلالية، والتركيبية، وربطها بالمقاصد والمعاني الكامنة في البنية القرآنية.

وفي إطار هذا المسار برز نموذج فاضل صالح السامرائي ، حيث حاول الإقتراب من النصّ القرآني وكشف وجوه إعجازه البلاغي بأدوات لغوية محضة، من خلال مؤلفاته المتخصصة في بيان الفروق بين الألفاظ والتراكيب، وفي المقابل ظهر مشروع محمد شحرور في "الكتاب والقرآن قراءة معاصرة"، الذي اتخذ من التحليل اللغوي منطلقًا لإعادة بناء مفاهيم قرآنية وتشريعية عديدة، مقدّمًا نفسه بوصفه نموذجًا بديلًا لقراءة النص في سياق الحداثة.

تنبع إشكالية هذا البحث من التقاء هذين المشروعين في المشترك اللغوي، وافتراقهما في المنطلقات والنتائج؛ إذ يثار التساؤل حول حدود الإتفاق والاختلاف بين التفسير البياني عند السامرائي والقراءة المعاصرة عند شحرور، وكيف أثّر اختلاف المرجعيات على توجيه الدلالة القرآنية عند كلٍّ منهما. ويهدف البحث إلى الكشف

عن الأسس النظرية والآليات التطبيقية في منهج السامرائي البياني من جهة، ومنهج شحرور اللغوي من جهة أخرى، ثم إجراء مقارنة تحليليّة بينهما.

01- التفسير البياني وموقعه بين مناهج التفسير:

يُعَدّ التفسير البياني اتجاهًا من اتجاهات التفسير الأدبي للقرآن، يُعنى بالكشف عن حسن التعبير القرآني وسموّ نظمه، واستجلاء ما في تراكيبه من دقة في اختيار الألفاظ وصورها البلاغية ونَسَقها التركيبي. ويرتكز هذا الاتجاه على النظر في مستويات اللغة المختلفة: المفردة القرآنية، وبنية الكلمة، والعلاقة بين الجملة والسياق، بغية الوصول إلى المعنى الذي يُظنّ أنه المراد من الخطاب الإلهي، مع استحضار خصوصية البيان القرآني وكونه معجزًا في لغته وأسلوبه. تقول عائشة بنت الشاطئ: "وما أعرضه هنا ليس إلا محاولة في هذا التفسير البياني للمعجزة الخالدة، حرصت فيها –ما استطعت– على أن أخلص لفهم النص القرآني فهما مشتشفا روح العربية ومزاجها، مستأنسة في كل لفظ بل في كل نبرة وحركة، بأسلوب القرآن نفسه، محتكمة إليه وحده، عندما يشتجر الخلاف، على هدى التتبع الدقيق لمعجم ألفاظه، والتدبر الواعي لدلالة سياقه، والإصغاء المتأمل إلى إيحاء التعبير في البيان المعجز" [1]

إذا نُظر إلى مناهج التفسير في إطارها العام، أمكن التمييز بين مناهج روائية تعتمد على الآثار والأحاديث، ومناهج عقلية وكلامية، وأخرى فقهية وأصولية، إلى جانب منهج لغوي بياني يبرز وجوه الإعجاز في النظم والدلالة، ويمتاز هذا المنهج بأنه يتوسّل باللغة لا الاجتهاد في الأحكام الفقهية مباشرة، بل للكشف عن أسرار التعبير القرآني وعن الفروق الدقيقة بين الصيغ والألفاظ، مما يجعله مكمِّلًا لا بديلًا عن المناهج الأخرى، يقول السامرائي: " وأما التفسير البياني فهو التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية"[2]

2- منهج فاضل صالح السامرائي في التفسير البياني:

1.2 فاضل صالح السامرائي وتصنيفاته:

وُلد فاضل صالح السامرائي في مدينة سامراء سنة 1933م، وتدرّج في التعليم حتى نال الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة عين شمس، وتخصّص في النحو والدرس اللغوي القرآني، وشغل التدريس في جامعة بغداد ثم في عدد من الجامعات الخليجية. وقد انعكس تكوينه النحوي واللغوي العميق في مشروعه التفسيري، فغلب على جهوده البحث في التعبير القرآني وبيان وجوه إعجازه البلاغي من خلال دراسات نحوية وبلاغية معمّقة للنص.

ترك السامرائي عددًا كبيرًا من المؤلفات التي تشكّل بمجموعها نواة مشروعه في التفسير البياني، من أبرزها: "على طريق التفسير البياني"، و"لمسات بيانية في نصوص من التنزيل"، و"بلاغة الكلمة في التعبير القرآني"، و"التعبير القرآني"، إضافة إلى مؤلفات نحوية مثل "الجملة العربية: تأليفها وأقسامها"، ومحاضراته التلفزيونية في البرامج القرآنية. وتعكس هذه المصنفات توجّهه إلى ربط القواعد النحوية والصيغ الصرفية بسياق الآية والهدف البلاغي للنص، بحيث تتحول اللغة عنده من مادة تجريدية إلى أداة لفهم مراد الله تعالى من الخطاب القرآني.

2.2 الأسس النظرية لمنهجه البياني:

يقوم المنهج البياني عند السامرائي على مسلّمة مركزية مفادها أنّ القرآن الكريم "سيّد على قواعد اللغة لا العكس"، أي إن النص القرآني هو المرجع الأعلى الذي ينبغي أن تُفهَم القواعد اللغوية في ضوئه، لا أن يُحكَم على النص بمقاييس قواعد وضعية جامدة "يكفي أن يأتي التعبير في القرآن معجزة البيان؛ ليكون هو الشاهد والحجة والأصل الذي تعرض عليه كل قاعدة لغوية أو بلاغية لا أن نحكم فيه قواعد من

صنع النحاة والبلاغيين وأكثرهم طارئون على العربية لم يكسبوها ذوقا وسليقة وإن أجادوها علما وصنعة .[3] ومن ثمّ يُرجِع السامرائي توجيه التراكيب القرآنية إلى ما يحققه النظم من مقاصد معنوية وبلاغية، ولو اقتضى ذلك العدول عن المألوف في الاستعمال النثري أو الشعري عند العرب، باعتبار أن إعجاز القرآن يقوم على هذا التفوّق في النظم.

كما ينهض منهجه على نفي الترادف التام في الألفاظ القرآنية، فكل كلمة عنده ذات دلالة خاصة لا تقوم مقامها أخرى، ولو بدت قريبة منها في المعنى العام، ولذلك يعتمد على استقراء موارد اللفظ في القرآن، وربطه بسياقاته المختلفة للكشف عن خصوصية دلالته. ويضيف إلى ذلك مراعاة السياقين: السياق اللغوي الداخلي الذي يشمل الجملة وما يتصل بها، والسياق الخارجي المتعلق بالمقام والموضوع العام للسورة، فتتكوّن رؤية بيانية متكاملة للنص لا تنفصل فيها الكلمة عن النسق الذي وردت فيه[4].

مع هذا التركيز على اللغة، لا يُلغِي السامرائي بقية شروط التفسير المعتبرة، بل يستصحب جملة من الأصول، مثل الرجوع إلى تفسير السلف، والنظر في أسباب النزول، والاستفادة من علوم الحديث، وإن ظلّ اهتمامه الرئيس منصبًّا على الدرس اللغوي والبلاغي.

3.2 آليات التفسير البياني عند السامرائي:

يعتمد السامرائي في تفسيره البياني للقرآن الكريم على ثوابت قارة في التعامل مع النصوص، تتمثل في قواعد لغوية وأخرى أصولية

القواعد اللغوية:

01- كل زيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى يقول: "يحدف من الفعل للدلالة على الحدث أقل مما لم يحذف منه، وأن زمنه أقصر، ونحو ذلك، فهو يقتطع من

الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث، وأنه يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل"[5] ومن أمثلة ذلك، يطّهر ويتطهّر، ويذّكر ويتذكر.

02- كل اختلاف في المبنى يؤدي بالضرورة إلى الاختلاف في المعنى ومنه أن يفرق بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة، وبين الفعل الماضي والفعل المضارع، كالتفريق بين ضيّق وضائق، وعالم وعلّام. وكاختلاف الدلالة في ألفاظ الكفر والكفور والكفران، "فالكفران أكثر استعمالا في حجود النعمة، والكفر في الدين، والكفور فيهما جميعا"[6]

03- الايجاز والإطناب:إذ يرى السامرائي أن الاقتصار على ذكر حدث في سورة باقتضاب يقابله ذكره في سورة أخرى بتفصيل يكون مرتبطا إرتباطا وثيقا بمقتضى الحال، إذ تردد هذا التعبير بلفظه ومعناه مرارا في توجيهات السامرائي للمتشابه اللفظي، فنجده غذا وجه آيتين متشابهتين اختلفتا في زيادة ونقصان الحروف والألفاظ، أو في طول وقصر العبارات يقول: "ناسب التفصيل التفصيل، والإجمال الإجمال" [7]

القواعد الأصولية:

01-العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب: هناك أمثلة عديدة تنبي عن اختيار السامرائي لهده القاعدة الأصولية في تناوله للنص القرآني، ومنها أنه علل السبب في تقديم العطاء على التقوى في قوله تعالى:"أَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى"[8] فإن هذا التقديم سببه نزول هذه الآية في أبي بكر الصديق على راجح الأقوال الذي تصدق ببعض من ماله في سبيل الله، فرأى السامرائي أن تقديم العطاء أولى من تقديم التقوى باعتبار سبب النزول، يقول: "ونحن لا يعنينا هنا تعيين الشخص من هو ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن اللفظ يشمل كل من اتصف بهذه الصفات

التي ذكرها ربنا سبحانه"[9] ومنه أيضا في تفسيره لسورة الكوثر يقول: "ذكر ان سبب نزول هذه السورة أنه لما مات القاسم بن رسول الله، ثم مات عبد الله، قال أعداؤه: قد انقطع نسله فهو أبتر، ذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا مات الذكور من أولاد الرجل قالوا، قد بتر فلان، فأنزل الله: إن شانئك هو الأبتر، ولا يعنينا القائل من هو، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم"[10] فاعتبار الشانئ شخص بعينه لا يعتد به إلا سببا للنزول وإلا فإن الآية عامة في كل من انتقص من النبي صلى الله عليه وسلم، لا يسلم من ذلك من شنأه في حياته أو بعد وفاته، وليس الاختصاص بمن نزلت فيه هذه الآية يحصر الحكم فيه وحده دون غيره، وهذه هي القاعدة التي يرتضيها السامرائي في تفسيره.

02- اختلاف القراءات في الآية يؤدي إلى تعدد معانيها أو الجمع بين معانيها: يضرب لذلك مثلا بقراءة ملك ومالك في سورة الفاتحة، فإن لكل قراءة معنى وكل قراءة تستدعي أمورا لا تستدعيها قراءة أخرى، فالمالك قد يكون ملكا، وقد لا يكون، والملك قد يكون مالكا وقد لا يكون، وتصرف الملك غير تصرف المالك[11]

3. منهج محمد شحرور في "القراءة المعاصرة"

1.3 محمد شحرور ومشروعه في التفسير:

يُعَدّ محمد شحرور (1938–2019م) من أبرز الأسماء التي ارتبطت بما يُسمّى "القراءة المعاصرة للقرآن الكريم"، وهو مهندس سوري تلقى تكوينه الأكاديمي الأساسي في الهندسة، ثم اتجه إلى قضايا الفكر الديني والقرآني، مما جعل مشروعه يجمع بين خلفية علمية تطبيقية واهتمام بالنص الديني وتأويله. وقد تبلور مشروعه التأويلي في كتابه الضخم "الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة"، الذي عدّه أصلًا لبقية كتبه، حيث حاول فيه تقديم تصور جديد للتمييز بين "الكتاب" و"القرآن" و"الذكر"، وإعادة بناء منظومة المفاهيم القرآنية والتشريعية وفق رؤية معاصرة.

قدّم شحرور نفسه لا بوصفه مفسرًا تقليديًّا، بل بوصفه صاحب "قراءة" تستند – كما يصرّح – إلى خصائص اللسان العربي وإلى مناهج معرفية حديثة، مع نقد صريح للتراث التفسيري والفقهي واعتباره جزءًا من تاريخ الفهم لا من قداسة النص. قد أثار هذا المشروع جدلًا واسعًا في الساحة الفكرية المعاصرة.

2.3 الأسس النظرية لمنهجه:

ينطلق محمد شحرور من أن الأدبيات الإسلامية قد أسلمت نفسها لأطروحات عدّتها من مسلمات العقيدة الإسلامية[12] فلم تسْعَ لإعادة النظر فيها لتبقى هذه الأدبيات تدور في حلقة مفرغة لم تصل إلى حل المعضلات الأساسية للفكر الإسلامي التقليدي. وفي نظره أن الفكر العربي المعاصر ومن ضمنه الفكر الإسلامي يعاني من المشاكل الأساسية التالية:

01-عدم التقيد بمنهج البحث العلمي الموضوعي في كثير من الأحيان، وعدم تطبيق الكتّاب المسلمين لهذا لمنهج على النص القدسي الديني.[13]

02- إصدار حكم مسبق على مشكلة ما، قبل البحث في هذه المشكلة، وخير مثال على ذلك المرأة في الإسلام إذ نرى الباحث الإسلامي مقتنعا مسبقا وقبل البحث أن وضع المرأة في الإسلام وضع سليم، وأن الإسلام أنصفها، فيكتب كتابا في ذلك ويقول إنه بحث علمي[14]

03- عدم الإستفادة من الفلسفات الإنسانية، وعدم التفاعل الأصيل المبدع معها.

04- عدم وجود نظرية إسلامية في المعرفة الإنسانية، مصاغة صياغة حديثة معاصرة، ومستنبطة حصرا من القرآن الكريم[15]

05-غياب فهم معاصر للسنة حيث إن المسلمين في العصر الحاضر يعيشون أزمة فقهية حادة[16]

3.3 منطلقات محمد شحرور في التعامل مع النص القرآني:

يصرّح شحرور في مقدمة مشروعه بأن أساس عمله هو "المنهج اللغوي" في تحديد معاني الألفاظ القرآنية، وهو منهج أبي علي الفارسي والمتمثل بالإمامين ابن جني وعبد القاهر الجرجاني، ومستندين إلى الشعر الجاهلي،[17] كما أنه يستلهم من مخرجات الألسنية الحديثة، لا سيما نفي وجود الترادف في اللغة: يقول" والاطلاع على آخر ما توصلت إليه علوم اللسانيات الحديثة من نتائج، وعلى رأسها أن كل الألسن الإنسانية لا تحوي خاصية الترادف، بل العكس هو الصحيح، وهو أن الكلمة الواحدة ضمن التطور التاريخي إما أن تهلك أو أن تحمل معنى جديدا بالإضافة إلى المعنى الأول، وقد وجدنا هذه الخاصية واضحة كل الوضوح في اللسان العربي"[18] فكل كلمة في اللغة إن سلمنا بوجود مرادف لها، فإنها تتماز عن مرادفها بمعنى جديد أو إضافي ضمن كرونولوجيا تطورها.

ثم يضيف مبدأ ثالثا يجاوز اللغة إلى صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان يقول:'إذا كان الإسلام صالحا لكل زمان ومكان، فيجب الانطلاق من فرضية أن الكتاب تنزّل علينا، وأنه جاء في النصف الثاني من القرن العشرين، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم توفي حديثا وبلغنا هذا الكتاب'[19] وقد تواتر مفهوم صلاحية القرآن لكل زمان ومكان لدى الأمة الإسلامية جمعاء لكن بالاعتقاد أن هذه الصلاحية مرتبطة بفهم القرون الأولى أو السلف –إن صح التعبير– لهذا النص فيكون بذلك فهم السلف للقرآن هو الصالح لكل زمان ومكان، بينما ينفي شحرور ذلك ويرى أن فهم السلف للقرآن خاص بهم دون غيرهم، وأن لكل عصر الفهم الخاص به. ومن ثم يخلص إلى أن كل ما في القرآن يمكن استيعابه بالعقل الإنساني لأن الله أنزل الكتاب ليهتدي به الإنسان،لا لينغلق دونه. يقول: "إن الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة أن يهدي نفسه، أو يعلم نفسه ولذا فقد أرسل للناس هدى وليس لنفسه، لذا

فإن كل ما جاء في الكتاب قابل للفهم بالضرورة، ويفهم على نحو يقتضيه العقل، وقد جاء بصيغة قابلة للفهم الإنساني، وهذه الصيغة هي باللسان العربي المبين، وبما أنه لا يوجد انفصام بين اللغة والفكر الانساني، فإننا نرفض القول بأنه توجد آيات في الكتاب غير قابلة للفهم"[20] إذن فكل ما في القرآن يمكن إدراكه بالعقل البشري، لا سيما وأن أداته اللغة، وهو موجه حصرا للإنسان من أجل هدايته إلى الصراط القويم، فهذا يقتضي أن يكون فهمه متيسرا على قدر الهبة الممنوحة للإنسان وهي العقل.

4- أوجه الاتفاق والافتراق بين المنهجين

4-1 نقاط الالتقاء

يشترك السامرائي وشحرور في الانطلاق من مركزية اللغة في فهم النص القرآني؛ فكلاهما يرفض فكرة الترادف التام، ويرى أن اختلاف الصيغ والألفاظ يدل على اختلاف في الدلالة، وأن استقراء موارد الكلمة في القرآن سبيل أساس إلى الكشف عن معناها الصحيح. كما يتفقان في العناية بالسياق، وإن اختلفا في توظيفه، فالسامرائي يربط بين الآيات لبيان لطائف النظم، بينما يجمع شحرور الآيات ذات الموضوع الواحد لإعادة تركيب البنية المفهومية وفق ما يراه قراءة معاصرة.

تظهر هذه المشتركات في التطبيقات، فالسامرائي يقارن بين الألفاظ المتقاربة مثل الاختلاف بين صيغ الأفعال، أو بين الأسماء كالفروق بين "الريح" و"الرياح"لاستخراج دلالة خاصة لكل لفظ[21]، بينما يكثر شحرور من المقارنة بين الألفاظ مثل "كتاب" و"قرآن" و"ذكر" للوصول إلى بناء تصوري جديد لمجالات النص[22]. وهذا الاشتراك في الأداة (التحليل اللغوي) لا يعني الاشتراك في المنهج الكلي ولا في النتائج كما يتضح فيما يأتي.

4-2 الاختلاف في المنطلقات والضوابط المنهجية

ينطلق السامرائي من مرجعية عقدية وفقهية متّصلة بأصول أهل السنة والجماعة؛ فيُبقي للنص قدسيته وللتراث التفسيري وزنه، ثم يوظّف اللغة والبيان لكشف الإعجاز وتوضيح المعنى في ضوء ما قرره جمهور المفسرين، فلا يجعل التحليل البياني وسيلة لمخالفة الإجماع أو إبطال الأحكام الثابتة. فقد اشترط في المفسر "أن يكون قد اطلع على جملة صالحة مما كتبه من تقدمه من مشاهير المفسرين، ونظر في علوم القرآن وكتب الإعجاز، وكتب المتشابه وتناسب السور والآيات وما إلى ذلك مما كتب في أسرار التعبير القرآني "[23] فهذا الإطلاع بالضرورة سينمّي لدى المفسر ملكة التأويل، ويقوده إلى أفكار لم تتيسر له، وربما يهذب أحكامه المسبقة في قضية ما. أما شحرور فتقوم قراءته على مسلّمة تاريخانية الفهم، واعتبار التراث التفسيري "قراءة بشرية" يمكن تجاوزها جذريًّا، مع تقديم العقل الفردي والمعطيات الحداثية معيارًا لقبول أو ردّ المعنى المستفاد من النص[24].

هذا الاختلاف في المنطلقات ينعكس على الضوابط؛ فالسامرائي يقيّد نفسه بقواعد العربية المقرَّرة واستعمالات العرب والسياق القرآني الكلي، ويستصحب أسباب النزول والمرويات وإن لم يجعلها محور بحثه، بينما يتوسّع شحرور في تحميل الألفاظ معاني جديدة يراها "محتملة لغويًّا" ولو خالفت الاستعمال العربي المعروف أو السياق القرآني العام. فعندما يتناول السامرائي الفروق بين التعابير القرآنية المتعددة في سياقات متشابهة، كاختلاف صيغ القسم، أو استعمال ألفاظ متقاربة المعنى في سور مختلفة، فيُبيّن أن كل تركيب اختير ليتناسب مع سياق السورة ومقام الخطاب، دون المساس بالمعنى الشرعي العام المستقر. على سبيل المثال، يفسَّر اختلاف الاستعمال القرآني لـ"الريح" و"الرياح" بأن المفرد "الرِّيح" يغلب في مقامات الشدة والعقوبة كما في قصة عاد حيث يقول: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾[25]، بينما

الجمع "الرِّياح" يغلب في مقامات الرحمة والنعمة كما في قوله: ﴿وَمِن آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاح مُبَشِّرَاتٍ﴾[26]، وهو ما يستخرج من استقراء مواضع اللفظين.[27]

كما يقدّم السامرائي نماذج في الفروق بين الأفعال المتقاربة؛ مثلاً: الفرق بين "القلب" و"الفؤاد" و"اللُّبّ"؛ فالفؤاد عنده أشدّ تعلقًا بجانب الانفعال والاحتراق الوجداني، بينما "القلب" وعاء العلم والإيمان وثبات السكينة، و"اللُّبّ" خلاصة العقل الخالص من الشوائب، ويستدلّ باستعمالات هذه الألفاظ في مواضعها القرآنية المختلفة[28]. وفي حالة "الكتاب" و"القرآن" و"الذِّكر" يقرّر أنّ اختلاف التعبير له دلالة مقصودة، فيربط "الكتاب" غالبًا بجانب التشريع والكتابة الثابتة، و"القرآن" بجانب التلاوة والجمع، و"الذِّكر" بجانب التذكير والعظة، مع مراعاة السياق وعدم إخراج الألفاظ عن معهود التفسير.[29] بهذا المنهج يحافظ السامرائي على الفروق الدقيقة دون إحداث قطيعة مع الفهم الموروث.

أما محمد شحرور فيرى أن "الكتاب" و"القرآن" و"الذِّكر" بوصفها مفاهيم منفصلة في بنية الوحي، فـ"الكتاب" عنده إطار قانوني أو مرجعية كونية أوسع، و"القرآن" جزء منه أو مستوى مخصوص يتعلق بالتمييز بين الحق والباطل، و"الذِّكر" يتصل بالتحديث المستمر للخطاب[30]. يترتّب على هذا التمييز في مشروعه نتائج تشريعية بعيدة عن المفهوم الموروث، فيجعل بعض الآيات التي تنتمي – بحسب تقسيمه – إلى مستوى "الكتاب" ثابتة الحكم، وأخرى من مستوى "القرآن" قابلة للتطور حسب الزمن والمصلحة.[31]

ومن أمثلة شذوذه عن المعلوم بالضرورة في اللغة تفسيره للفظة "النساء" في آية الشهوات من سورة آل عمران ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ...﴾[32]، حيث يفسّرها على أنها ليست جمع امرأة بل من الجذر "ن س أ" بمعنى التأخير أو النسيء، فيجعل الآية تتحدث – حسب فهمه – عن الأشياء المؤخَّرة أو الجديدة لا

عن النساء بوصفهنّ جِنسًا من البشر. وقد انتُقِد هذا التفسير لأنه يخالف الاستعمال العربي الثابت في المعاجم والسياق المباشر للآية، حيث يجمع المفسرون على أن "النساء" جمع "امرأة" ويدخلن ضمن الشهوات التي تزيَّن للناس.

كما يعيد شحرور تعريف "الحدود" في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ بوصفها "خطوط حماية" أو "مجالات حركية مرنة" بدلاً من كونها عقوبات مقدّرة، وبناءً على هذا الفهم يعيد قراءة آيات الحدود كالزنا والسرقة بتأويلات تختلف كثيرًا عن الفقه الموروث. وفي الربا يربط المعنى بما يسميه الاستغلال الفاحش أو الربا المركّب، ويحاول تضييق دائرة التحريم أو إعادة صياغة مفهوم الربح والمعاملة المالية وفق معايير اقتصادية معاصرة،

إذن تكشف المقارنة أن التقاء المنهجين في الأداة اللغوية لا يلغي التباين العميق في الوظيفة والغاية؛ فالسامرائي يستخدم البيان لإضاءة النص في إطار المرجعية التفسيرية الموروثة، فيُثري فهم الإعجاز البلاغي دون أن يقدّم نفسه بديلًا عن قواعد أهل العلم في العقيدة والفقه. بينما يوظّف شحرور نفس الأداة لتأسيس قراءة مغايرة في جملة من القضايا العقدية والتشريعية، ما يجعل مشروعه موضع نقد حاد من جهة خروجه عن ضوابط أصول التفسير، وإن استند في ظاهره إلى التحليل اللغوي.

من هنا تُبرز الدراسات أن التفسير البياني المنضبط – على مثال السامرائي – يمكن أن يكون رافدًا مهمًّا في تجديد الدرس القرآني وإحياء العناية بلغة الوحي، في حين أن توسيع "القراءة المعاصرة" على النحو الذي انتهى إليه شحرور قد يحوّل اللغة إلى أداة لإعادة تشكيل النص وفق رؤى فكرية سابقة، وهو ما يفرض – في البحث الأكاديمي – التعامل النقدي الصارم مع نتائجه، مع التمييز بين قيمة الملاحظات اللغوية الجزئية وبين سلامة البناء المنهجي الكلي.

4.خاتمة:

يخلص هذا البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات المهمة حول التفسير البياني والقراءة المعاصرة للقرآن الكريم:

أولاً: اشتراك المنهجين – السامرائي وشحرور – في الاستفادة من الأداة اللغوية والاهتمام بالفروق الدقيقة بين الألفاظ القرآنية، إلا أن هذا الاشتراك يبقى سطحيًّا من جهة الأهداف والضوابط. فالسامرائي يسعى لكشف أسرار البيان القرآني والإعجاز البلاغي في إطار منضبط، بينما يهدف شحرور إلى إعادة بناء المفاهيم التشريعية والعقدية وفق قراءة معاصرة تتجاوز الموروث التفسيري.

ثانيًا: أهمية الضوابط المنهجية والمرجعيات العقدية في توجيه استخدام اللغة في التفسير؛ فعدم الالتزام بأصول التفسير وقواعد التعامل مع النص قد يحوّل البيان اللغوي إلى تأويل أيديولوجي بعيد عن مقاصد الشريعة والإجماع. وهذا ما ظهر جليًّا في بعض نتائج قراءة شحرور التي أثارت جدلًا علميًّا واسعًا.

ثالثًا: قيمة التفسير البياني المنضبط بأصول التفسير كرافد مهم لتجديد الدرس القرآني؛ إذ يجمع بين دقة التحليل اللغوي وسلامة المنهج، مما يفيد طلاب العلم والمفسرين في فهم أعمق للنص القرآني دون الانحراف عن طريق السلف.

رابعًا: ضرورة التمييز – في الدراسات الأكاديمية – بين التفسير البياني الموضوعي والقراءات التأويلية التي تحمّل النص أفقًا فكريًّا مسبقًا؛ فالأول يخدم فهم النص في ذاته، بينما الثانية قد تفسد الدلالة وتقود إلى نتائج مخالفة للإجماع.

ويفتح هذا البحث آفاقًا للدراسات المستقبلية:

مقارنات تفصيلية بين منهج السامرائي ومناهج بيانية أخرى منضبطة (كمنهج ابن عاشور أو بنت الشاطئ).

دراسات نقدية معمقة لتأويلات شحرور الرئيسة ومستندات الرد عليها من أصول التفسير.

استخراج قواعد منهجية للتفسير البياني يمكن أن تكون ضابطًا علميًّا للدراسات الحديثة

5.المراجع

[1] بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقران الكريم، دار المعارف، مصر، 1990، جـ 1، ص:17

[2] السامرائي، فضل صالح، على طريق التفسير القرآني، دار ابن كثير، بيروت ، لبنان، ط 1، 2017، جـ 1،ص: 7

[3] بنت الشاطئ ، المرجع السابق ، ص:43

[4] ينظر، السامرائي،على طريق التفسير البياني، جـ1، ص:14-15.

[5] السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القراني،دار ابن كثير، لبروت، لبنان، ط 2016،2، ص:11

[6] السامرائي، معاني الأبنية، دار عمار،الأردن، ط 2، 2007 ص:19.

[7] خولة حاجي،التفسير البياني للخطاب القراني عند المحدثين: السامرائي انموذجا،أطروحة دكتوراه غي منشورة، جامعة تبسة، 2019

[8] سورة الليل ، الآية 5.

[9] السامرائي، على طريق التفسير القرأني، جـ 1، ص:174

[10] المرجع نفسه،ص: 97

[11] خولة حاجي، التفسير البياني للخطاب القرآني عند المحدثين، ص: 168

[12] محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرو، الأهالي للنشر، دمشق،د ت، ص:30.

[13] مرجع نفسه، ص: 30.

[14] المرجع نفسه، ص:30

[15] المرجع نفسه، ص:31.

[16] المرجع نفسه، ص32

[17] المرجع نفسه،ص:44

[18] المرجع نفسه، ص:44

[19] المرجع نفسه، ص: 44

[20] المرجع نفسه، ص:45

[21] dbpTkZA9xMr=v?watch/com.youtube.www//:https برنامج لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي تاريخ الإطلاع 2026/01/21

[22] المرجع السابق، ص51 وما بعدها.

[23] السامرائي،على طريق التفسير البياني، جـ1، ص:16

[24] ينظر محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص:45

[25] سورة الحاقة، آية 6

[26] سورة الروم، آية 46

[27] dbpTkZA9xMr=v?watch/com.youtube.www//:https برنامج لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي تاريخ الزيارة 2026/01/21 20:00 سا

[28] https://www.youtube.com/watch?v=1jskzJN3_u0 برنامج لمسات قرآنية للدكتور فال السامرائي، تاريخ الزيارة 2026/01/22 22:00 سا

[29] https://www.youtube.com/watch?v=fZDX3k8TRNk لمسات قرآنية ، السامرائي، تاريخ الزيارة 2026/01/22 23:00 سا

[30] محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص:54.

[31] المكان نفسه.

[32] سوؤة آل عمران، ص"14